((حملة القرآن مالهم وما عليهم))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

الأولى

استأذنكم معاشر الكرام في نقلة من المثلات إلى المبشرات، ومن الفجائع إلى المفرحات، أنقلكم إلى خبر ليلة عشنا أنسها وحبورها، ولذتها وسرورها، أمّا أين ؟

ففي مكة، وتحديداً في هذا الجامع العتيق في مكانه، الحديث في بنيانه، أمّا المناسبة فهي الاحتفاء السنوي الذي أقامه منسوبو هذا الجامع بمناسبة تخريج ثلة من حملة كتاب الله من أبنائكم طلاب حلقات هذا الجامع المبارك، حقّاً إنَّهم فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى.

حفظوا كتاب الله عن ظهر قلب، يتلوه أصغرهم مترسّلاً كأنما يتلوه من المصحف، وكانوا حدثاء الأسنان صغار الأعمار، فكانت ليلة طيّبة في بلدٍ طيّبٍ مع آيات طيبةٍ تتلى بقراءاتٍ متنوعة، ليلةٌ حضرها جمع غفير من أهل الفضل والعلم، أبهجت قلوب المؤمنين، وملأت نفوس المؤمنين سروراً وفرحا ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ يونس: ٥٨

وكيف لا نفرح ونحن نرى في هذا الزمان الصّعب الذي عظمت غربته، واشتدت كربته، في زمن تقديس الغرب المنحط، وتمجيد أهل اللهو واللعب، في زمن العقوق وضياع الحقوق؛ وإذا بهؤلاء الغلمان الذين حفَّت بهم الشهوات من كلّ حوب وصوب من ألعاب الكترونية ووسائل تواصل اجتماعية، وإغراءات جنسيّة، ناهيكم عن أخبار القنوات والمباريات، وغزو العقول والقلوب بالشبهات والشهوات، فإذا بصبيةٍ من أبنائكم لم تتجاوز أعمارهم الحادية عشر والثانية عشر يتحلقون في كل عشيّة في بيوت الله دون كللٍ ولا ملل، بل صبرٌ ومصابرة، وجهادٍ ومجاهدة، وهمٌّ وهمَّة، فهنيئاً لآبائهم، هنيئاً لأمهاتهم، هنيئاَ لنا جميعاً، لقد قدَّم هؤلاء الصبية هديَّةً ثمينةً لآبائهم، هديَّةٌ جاءت على لسان رسول الله فقد أخبر (( ... أنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ ... )) رواه أحمد والدارمي وصححه الألباني في السلسلة رقم 2829 .

ورحم الله الإمام الشاطبي يوم قال :

هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِما مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلى

فَما ظَنُّكُمْ بالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ والصَّفَوَةُ المَلَا

هنيئاً لهم يوم صبروا وعجز غيرهم، هنيئاً لهم يوم جدُّوا وتكاسل غيرهم، لقد قدَّم هؤلاء الصبية رسالة عنوانها: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» .

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه: أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟

فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟

قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟

قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

يرفع الله أهل القرآن في الدنيا، يرفعهم في أشرف البقاع إلى الله، في محاريب الصلاة، فإذا ثوب للصلاة وأقيمت الصفوف فحامل القرآن هو الإمام ففي صحيح مسلم يقول : فيما رواه أبو مسعود الأنصاري «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ».

حامل القرآن مقدم في القبر عند موته، لما صرع المسلمون في غزوة أحد بين يدي رسول الله وحفرت القبور، وكانت قبورا جماعية يدفن فيها الثلاثة والأربعة، ظهرت مشكلة يا ترى من يقدم في اللحد والقبر؟ فقال معلنا مؤهل التقديم: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ القِيَامَةِ» رواه البخاري من حديث جابر.

قال ابن حجر في الفتح: وفي الحديث فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ. «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

فهنيئا لحامل القرآن غير الغالي فيه و الجافي عنه، حامل القرآن من خيار عباد الله يقول فيما رواه البخاري من حديث عثمان : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»

قال العلامة ابن عثيمين ~ : فخير الناس من تعلم القرآن وعلم القرآن تعلمه من غيره وعلمه غيره والتعلم والتعليم يشمل التعلم اللفظي والمعنوي فمن حفظ القرآن وصار يعلم الناس تلاوة القرآن فهو داخل في داخل في حديث «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» .

وبه نعرف فضيلة حلق القرآن الموجودة في المساجد حيث يتعلم الصبيان فيها كلام الله فمن ساهم فيها بشيء فله أجر، ومن أدخل أولاده فيها فله أجر، ومن تبرع وعلم فيها فله أجر كلهم داخلون في قوله «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» .

فأهل القرآن هم صفوة عباد الله يملؤون المساجد بالذكر الحكيم، ويمضون جلَّ أوقاتهم في محاضن القرآن، يستمعون ويتلون كتاب الله، فو الله لو أقسمت لا أحنث أنهم جمال الدنيا وبهجة النفوس، وكم يعجب المرء عندما يقلب بصره في هؤلاء الأخيار الذين يتلون كتاب الله في بيوت الله آناء الليل وأطراف النهار، وإذا بهم من أشدّ الناس حاجة وفاقة، بل وأعجزهم نطقا للعربية، ولكن صدق الشافعي يرحمه الله يوم قال: (من حفظ القرآن عظمت قيمته) فهنيئا للشباب الأفذاذ الذين غدوا إلى حلق القرآن ومجالس الملائكة الأبرار يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، هنيئا للمعلمين البررة الذين لزموا السواري مع أبنائنا وفلذات أكبادنا لتعليم كتاب الله تعالى لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا إلا من العليم بحالهم والمطلع على أعمالهم هنيئاً لهم يوم يتقلبون كلّ عشيّة في روضة من رياض الجنة يحدوهم هذا الحديث العظيم الذي رواه الإمام مسلم من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وهو يروي أنّ رَسُولُ اللهِ خرج وَهم جلوس فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» قال صاحب عون المعبود : أَرَادَ تَرْغِيبَ أصحابه فِي الْبَاقِيَاتِ وَتَزْهِيدَهُمْ عَنِ الْفَانِيَاتِ فَذِكْرُهُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّقْرِيبِ إِلَى فَهْمِ الْعَلِيلِ وَإِلَّا فَجَمِيعُ الدُّنْيَا أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يُقَابَلَ بِمَعْرِفَةِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِثَوَابِهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى.

فقل لي بربّك فكيف إذا كان تعلم القرآن وتعليمه في مكة مهبط الوحي ومتنزّل القرآن ؟

فامضوا يا أهل القرآن على بركة الله وسيروا على صراط الله المستقيم، ولا يلتفت أحدكم إلى الألسنة الكاذبة والأقلام الجائرة التي غمزت ولمزت وهمزت هذه المحاضن القرآنية إفكاً وزوراً وبهتاناً، ولكنَّ الله الموعد ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الزخرف: ١٩

يا ترى كم تخرج من هذه الحلقات القرآنية من العلماء؟

كم نبغ فيها من الفقهاء والنجباء؟

كم أصلحت من أخلاق وعلمت من آداب؟

كم من عاق لوالديه كانت حلقات القرآن عونا له على برِّه بوالديه؟

كم من متهاون بفرائض الله استقام حاله وحسن منقلبه ومآله؟

وكم أتمنى أن أسائل من يغمز ويلمز حلقات التحفيظ، ويتباطأ في إلحاق ابنه في ذاك الرَّكب الميمون، ماذا يحب أن يرى ابنه غداً؟ إلى أين يتمنى أن يغدو ابنه في كل عشية ؟

أيسره أن يراه ساهيا لاهيا يموج في ميادين الكرة وساحات الفن ومجالس السوء؟

أيرضى أن يراه متسكعا في الأسواق هائماً على وجهه في الطرقات؟ ثمّ ماهي الثمرة الذي جناها الآباء اليوم من عزوف أبنائهم عن بيوت الله وحلق التحفيظ؟ كم يندب المرء نفسه عندما يصغي إلى تلاوة كثير من خريجي الثانوية والجامعات ناهيكم عمَّن دونهم وهو يتلجلج في كتاب الله، ويتعتع في قراءته وحسن تلاوته، فضلاً عن حفظه وإتقانه، هل علم هؤلاء أن من حفظ القرآن وأتقنه فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه؟

فقلب لا قرآن فيه بيت خرب قال : (إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ) رواه الترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

يقول عبدالله بن عمرو بن العاص { قال رسولُ الله : "يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرَأ وارتَقِ، ورتِّل كما كُنْتَ ترتِّل في الدُنيا، فإن منزِلَكَ عندَ آخرِ آية تقرؤها" رواه الترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال ابن حجر الهيثمي يرحمه الله : الْخَبَر الْمَذْكُور خاصّ بِمن يحفظه عَن ظهر قلب لَا بِمن يقْرَأ فِي الْمُصحف لِأَن مُجَرّد الْقِرَاءَة فِي الْخط لَا يخْتَلف النَّاس فِيهَا، وَلَا يتفاوتون قلَّة وَكَثْرَة، وَإِنَّمَا الَّذِي يتفاوتون فِيهِ كَذَلِك هُوَ الْحِفْظ عَن ظهر قلب، فَلهَذَا تفاوتت مَنَازِلهمْ فِي الْجنَّة بِحَسب تفَاوت حفظهم. (الفتاوى الحديثية، ص113).

أقول قولي هذا واستغفر الله ...

الثانية

وصيّة إلى أهل القرآن إلى أحباب الله وصفوة عباده إلى من ختم القرآن إلى من حفظ نصف القرآن إلى من حفظ ربع القرآن إلى من حفظ آية من القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن في حياتكم، لستم على شيء حتَّى تقيموا القرآن في أخلاقكم وفي سركم وعلانيتكم وفي أقوالكم وأعمالكم، فأقرب الناس لكتاب الله وتدبره والعمل به وتلاوته هم حفاظ كتاب الله، فمتى صلح حفاظ كتاب الله صلح الناس كلهم.

قال ميمون بن مهران: لو صلح أهل القرآن لصلح الناس.

فالشاب الذي حمل كتاب الله في صدره فقد غدا صاحب رسالة عظيمة، وقدوة حسنةً بين أقرانه وخلانه، حامل كتاب الله من أحرص الناس على تعظيم شعائر الله والتمسّك بسنّة رسول الله ، حامل كتاب الله رسالته أكبر من قضية فريق كروي فاز أو خسر، أكبر من شهوة فرجٍ وقصة شعر وحبٍّ ماجن.

حامل كتاب الله أعيذه بالله أن يكون عاقا لوالديه متهاونا بشعائر الله .

حامل القرآن حقّاً هو من يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَببُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ. قاله ابن مسعود . مصنف ابن أبي شيبة، (7/231).

وكم من حامل لكتاب الله أساء لأهل القرآن وحلقات التحفيظ بسوء مسلكه وتهاونه بشعائر الله وحقوق عباد الله وانغماسه في غفلة مع الغافلين فلا يعرف من القرآن إلاّ حروفاً يهذها كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَينْثُرها كَنَثْرِ الدَّقَلِ

ناهيك عن قصوره في تعلّم أحكام القرآن وعلومه، وآدابه، ومعانيه، فغدا الناس يخوضون مع الخائضين في أعراض حملة القرآن وحلقات التحفيظ

ياقارئاً لكتــاب الله أنت فتـــــىً للمكرمات بــإذن الله حمــالُ

إني أناديك من بين الأنــام وقـــد أحاط بالقوم أخطــار وأهـوالُ

اربأ بعلمك عن دنيــا تدنســــه فكل علم لغير الله صلصــــالُ

تبكي السماء إذا مافارقــت جســداً روحُ التقي الذي للخير فعـــالُ

أعـــزك الله بالقــرآن تحفظــه أكثر من الذكر فالنسيان قتــالُ

ما عـز من كانت اللذات تشغلــــه ولا لمن ضيع القرآن أبــدالُ

أد الأمانة وانهض فاللئــام بغـــوا في قولهم وانطوى بالمكر ضلالُ

لايخدعنك منهــم حلـــو السّنــة واقرأ (براءة) تعرفْ لحن ماقالوا

لو أنزل الله قراءناً علـى جبـــــلٍ لزلزلت خشية لله أجبــــالُ

داووا قلوباً من الأسقام باليــــــة إن القلوب إذا لم تحي أطـلالُ

في سورة من كتاب الله جامعـــــةٍ في آية (النور) تفصيل وإجمالُ

فاستيقظوا وانظروا فالمــوت ألهاكـمُ عنه التكاثر والأرزاق تنهــالُ

قوافل الموت تعدوا بالأنــام ومـــا لسيرها في طريق الموت إقفالُ

ومن بنا الدور وازدانت سعادتــــه لابد يوماً إلى الرحمن رحــالُ

فاغفر لنا يا الهي كلَّ ماكسبـــــت قلوبنا فالذنوب اليوم جُثَّــالُ

ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ فاطر: ٢٩ - ٣٠